إعداد : ياسر السيد

توصل العلماء إلى أن الذين ينفقون أموالهم على الآخرين أكثر طمأنينة

الصدقة أقصر الطرق للسعادة

بعض علماء النفس توصلوا إلى أن أعمال البرّ يمكن أن تكون أقصر الطرق للوصول إلى السعادة. ففي محاولة لتفسير تناقض الحياة المعاصرة – لماذا تكاثر الأموال لا يجعل الناس بالضرورة أسعد حالا – اكتشف العلماء أن كل ما ينفقه الناس من مالهم مهمّ بنفس الكمّ الذي يكسبونه، وأن أعظم المنع على الإطلاق يمكن أن تتحقق بالتبرع بالمال، إما لشخص تعرفه أو للجمعيات الخيرية.

إن البحث عن السعادة حق إنساني أصيل وغالبا ما يرتبط بالثروة، لكن الدراسات بينت أن أغنى الدول ليست أسعد الشعوب دائما. ويقول أحد العلماء إنه «بالرغم من زيادة الدخول الثابتة في العقود الأخيرة، فإن مستويات السعادة قد ظلت إلى حد كبير في أدنى درجاتها في الدول المتقدمة عبر الزمن».

إن أحد أكثر التفسيرات إثارة لهذا الاكتشاف هو أن الناس غالبا ما يبذرون ثرواتهم المتزايدة على ملاهي لا تعود عليهم إلا بالنذر اليسير في بحثهم عن السعادة الدائمة، كشراء السلع الاستهلاكية الغالية.

وتوصل العلماء إلى أن الذين ينفقون أموالهم على الآخرين كانوا أسعد، بينما أولئك الذين أنفقوا أموالهم على ملذاتهم الشخصية لم يشعروا بسعادة تذكر.

استنتج العلماء من التجربة أن مجرد تغييرات طفيفة في مخصصات الإنفاق، حتى ولو كانت خمسة دولارات، قد تكون كافية لتحقيق مكاسب حقيقية في السعادة في يوم معين. وتساءل العلماء، إذا كان إخراج القليل من المال للآخرين يمكن أن يجعل الناس أسعد، فلماذا يفشل الكثير منا في القيام بذلك؟

ويقترح العلماء أن بمقدور الحكومات أن تزيد سعادة مواطنيها بسياسات توضع لتعزيز الإنفاق الاجتماعي بتشجيع الناس على استثمار دخولهم في الآخرين بدلا من أنفسهم!

أليس هذا ما أمرنا به الإسلام؟

أيها الأحبة: لقد فشل العلماء في معرفة سر الإحساس بالسعادة لدى إنفاق المال على الفقراء، وفشلوا في تفسير لماذا لا ينفق الأغنياء أموالهم لمساعدة المحتاجين. ولكن الإجابة موجودة في ديننا الحنيف!

فالله تبارك وتعالى جعل الزكاة ركنا من أركان الدين، ولا يصحّ إسلام المرء إذا لم يؤدّ زكاة ماله، وجعل النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم الصدقة من أجل القربات إلى الله وأعظمها أجرا، ووردت في ذلك أحاديث نبوية لا تحصى ومئات الآيات في القرآن.

فالصدقة تطفئ غضب الربّ، والصدقة برهان ودليل على صدقك مع الله تعالى بشرط ألا تتبعها بالمنّ والأذى، أي تتصدق لوجه الله تعالى دون أن تفاخر بذلك أو تؤذي الفقير الذي أعطيته المال وتحقره، بل تعامله كأخ في الله.

يقول تبارك وتعالى: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [البقرة: 245]. تأملوا معي هذه الآية التي تحفز المؤمن على إنفاق المال، وأن الله سيضاعفه له أضعافا كثيرة، وهذا المعنى نجده في آية أخرى يقول فيها عز وجل: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» [الأنعام: 160]، فعندما تنفق درهما فإن الله سيرزقك عشرة دراهم، أي أن المال لن ينقص بل سيزداد. وانظروا معي إلى هذه الآية العظيمة التي تحفز المؤمن وتشجعه على الإنفاق: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» [البقرة: 261]. إن هذه الآيات نعمة من الله علينا، ولا ندرك قيمتها إلا عندما نعلم أن الملحدين يفتقدون إلى هذه النعمة، نعمة التصدق لوجه الله! فليس هناك وسيلة لدى الملحدين يتبعونها لجعل الناس ينفقون الأموال على الفقراء، ليس لديهم ما يعدونهم به، وليس لديهم أي أجر أو مكافأة، ولذلك نجد الملحد من أكثر الناس تعاسة، وعلى الرغم من ذلك نجد هؤلاء الملحدين يدافعون عن عقيدتهم وإلحادهم... فالحمد لله على نعمة الإسلام.

لقد أخبر الله تعالى عن تأثير العطاء وأن الذين ينفقون أموالهم في الخيرات لن يخافوا ولن يحزنوا، بل سيكونون في سعادة دائمة. ويقول تعالى: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» [البقرة: 262].

أحبتي في الله! لقد لفت انتباهي نص قرآني عظيم تحدث فيه الباري جل وعلا عن أهمية الإنفاق، والعجيب أن هذا النص ختم بآخر آية نزلت من القرآن، لنقرأ معا: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ «261» الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «262» قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ «263» يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ «264» وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ «265» أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ «266» يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ «267» الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ «268» يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ «269» وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ «270» إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ «271» لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ «272» لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ «273» الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «274» الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «275» يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ «276» إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «277» يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «278» فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ «279» وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ «280» وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» [البقرة: 261–281].

وبعد هذا النص هناك أطول آية في القرآن وهي قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» [البقرة: 282].

طبعا إن الله تعالى وضع لنا إشارات على أهمية الإنفاق، فتحدث عن الإنفاق في نص يتألف من 21 آية، ليؤكد لنا على أهمية هذا العمل، ولذلك نجد المؤمن يتبرع بمعظم ماله للفقراء فيكون بذلك أسعد الناس في الدنيا، ويكون من الفائزين برحمة الله في الآخرة. حتى إن الإنسان في آخر لحظة له من الدنيا، هل تعلمون ماذا يطلب؟ إنه يطلب أن يمنح عمره لدقائق معدودة لعله ينفق شيئا من ماله لما يجد من ثواب لهذا العمل، وكأن الصدقة هي الشيء السهل الذي يحول بينك وبين عذاب الله تعالى. فعندما تقترب لحظة الموت يرى الكافر مقعده من النار فلا يخطر بباله أي شيء إلا التصدق في سبيل الله! يقول تعالى: «وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ «10» وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» [المنافقون: 10–1].

فالصدقة يا إخوتي هي أسهل عمل نقوم به، وبنفس الوقت هي أصعب عمل على البخيل! فالصلاة تتطلب الوضوء والوقوف والركوع والسجود والخشوع... والحج يتطلب السفر والطواف والرمي... والصيام يتطلب الجوع والعطش... ولكن الصدقة لا تتطلب أي جهد يذكر، إنها عمل في غاية السهولة، وثوابها عظيم.

لقد رغّب الله عباده في الإنفاق ووعدهم بمضاعفة الثواب والأجر الكريم، يقول تعالى: «إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ» [الحديد: 18]. وهذا ما يجعل المؤمن أكثر سعادة من غيره. فهل تتصدق أخي المؤمن ولو بالقليل عسى الله أن يجعلك سعيدا في الدنيا والآخرة؟

«وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»

اسم الله .. القهار

«القهّار» من القهر، وهو الغلبة والأخذ بالقوة يُقال قهره أي غلبه.

وذكروا كذلك أن القهر في وضع اللغة يفيد أيضا معنى الرياضة والتمرين، يُقال قهر الناقة فلان إذا راضها وذللها.

وهذا الاسم صيغة مبالغة على وزن الفعّال.

الفرق بين اسم الله القاهر واسمه القهّار

قالوا القاهر هو: الذي له علو القهر الكلي المطلق باعتبار جميع المخلوقات وعلى اختلاف تنوعهم، فهو قاهر فوق عباده له علو القهر مقترن بعلو الشان والفوقية.

أي هو سبحانه وتعالى قاهر لجميع خلقه، وبهذه الصفة ثبت له صفة العلو والفوقية فلا يقوى ملك من الملوك أن ينازعه في علوه مهما تمادى في سلطانه وظلمه وإلا قهره القاهر، لأنه إذا كان –هذا الملك– له الغلبة والقوة والبطش وله العلو في الأرض فيلزم من هذا أن يكون له غلبة على بعض الناس، لكن الله عز وجل فوقه بقهره

بما له من صفة القهر، فهو غالب على أمره سبحانه وتعالى ولا يستطيع كائن ما كان أن ينازعه في صفته.

××ولذلك تجد قلب المؤمن مطمئن بهذه الصفة لعلمه أن من قهره إنما قهره بإذن الله لا لأن قاهره له الغلبة المطلقة.. وأن الله سبحانه وتعالى إذا قدّر عليه مثل هذا القدر فلا شك أن هذا لحكمة ما.

– والمؤمن إذا قدّر عليه الله أن يُقهر لحكمة فيجب أن لا يمس هذا القهر قلبه، فقد يُغلب في الأرض ويهزم كما هو حال أهل الإسلام اليوم لكن هزيمته لا تكون داخلية في نفسه لأنه يعلم أن الله سبحانه وتعالى له صفة القهر المطلقة، فلو شاء أن يخسف بأعدائه الأرض لكان لكنها السنن الكونية والأسباب.

إذا فمهما مورس من ظلم وقهر على العباد لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن يمس ذلك يقينك وإيمانك به سبحانه وتعالى بل تزداد قوة وتوكل وكلما ازددت بلاءً كلما كان الله عز وجل ألطف بك.

وإذا كان النبي يُخبر «أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوده في نساء فإذا سقاء معلق نحوه يقطر ماؤه عليه مما يجده من حر الحمى فقلنا يا رسول الله لو دعوت الله فشفاك فقال رسول الله إن من أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذينيلونهم ثم الذينيلونهم ثم الذينيلونهم ثم الذينيلونهم

الراوي: فاطمة عمة أبي عبيدة بن حذيفة المحدث: الهيثمي – المصدر: مجمع الزوائد – الصفحة أو الرقم: 295/2

خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن، فإن هذا المعنى يجب أن يرسخ في ذهنك.

×× ومعلوم أن المقهور يحتمي من ملك بملك ويخرج بخوفه من سلطان أحدهما ليتقوى بالآخر، فالناس على دين ملوكهم الغالب منه يتبعونه ويستظلون بقوته. فهو يحتمي من مُلك بمُلك ويخرج بخوفه من سلطان ليتقوى بالآخر لكن الملوك جميعا إذا كان فوقهم ملك قاهرٌ قادر فإلى من يخرجون وإلى جوار من يلجاون؟

يقول تعالى ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: 88]

وفي الحديث أن النبي كان يقول «إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة . ثم اضطجع على شقك الأيمن . ثم قل : اللهم ! إني أسلمت وجهي إليك . وفوضت أمري إليك . وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك . لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك . آمنت بكتابك الذي أنزلت . وبنبيك الذي أرسلت . واجعلهن من آخر كلامك . فإن مت من ليلتك ، مت وأنت على الفطرة » . قال فرددتهن لأستذكرهن فقلت : آمنت برسولك الذي أرسلت . قال : قل : آمنت بنبيك الذي أرسلت . وفي رواية : وزاد في حديث حصين : وإن أصبح أصاب خيرا.» [صحيح مسلم]

فأنت تفر إليه..كل شيء تفر منه إلا الله فإن فرارك إليه. فلا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه...

أما القهّار: التضعيف فعّال تعطي معنى مبالغة وكثرة فالقهار هو الذي له علو القهر باعتبار الكثرة والتعيين في الجزء أو باعتبار نوعية المقهور، فالعباد كلهم في قهر كلي وفقا لاسم القاهر قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: 18] أي لكل المخلوقات، أما القهر الجزئي على الأفراد فهو بالقهّار فتقول يقهر فلان الظالم.

أما باعتبار نوعية المقهور فهو سبحانه قهار للظلمة و الجبابرة و المتكبرين في الأرض، أهلك قوم نوح وقوم هود وثمود وقهر فرعون وهامان .

يقول الله ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: 50] ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ [النجم: 51] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ [النجم: 52] ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ [النجم: 53] ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ [النجم: 54] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ [النجم: 55] ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ [النجم: 56]

وهذه الآيات توحي بأن الله سبحانه وتعالى له هذا القهر فقهر قوم لوط وقهر أبا جهل وقهر المشركين وقهر الفرس والصليبيين فالله سبحانه وتعالى قهّار لكل متجبر ظالم، يقهرهم بالإماتة والإذلال ويقهر من نازعه في صفة من صفات الوهيته وعبادته وربوبيته ومن نازعه في أسمائه وصفاته جل جلاله. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: 6] ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر: 7] ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: 8] ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: 9] ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: 10] ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: 11] ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر: 12] ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: 13] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: 14]

ورود الاسم في القرآن والسنة

القهّار ورد ست مرات في القرآن:

منها في سورة الرعد ﴿... قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: 16]

سورة غافر﴿...لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16]

وورد اسم القاهر في الكتاب مرتين

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18]

وفي الآية 61 ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً...﴾ [الأنعام: 61]

وورد هذا الاسم في السنة في الحديث حديث عائشة رضيَ الله عنها «بينما النبي واضع رأسه في حجري بكيت ، فرفع رأسه ، فقال : ما أبكاك ؟ قلت : بأبي أنت وأمي : ذكرت قول الله عز وجل : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ . فقال النبي الناس يومئذ على جسر جهنم ، والملائكة وقوف تقول : رب سلم رب سلم : فمن بين زال وزالة»

[الراوي: عائشة المحدث: ابن كثير – المصدر: نهاية البداية والنهاية – الصفحة أو الرقم: 319/1

وفي الحديث أيضا الذي روته أيضا أمنا عائشة أن رسول الله كان إذا تضوّر من الليل قال : لا إله إلا الله الواحد القهار ، رب السموات و الأرض و ما بينهما العزيز الغفار

[الراوي: عائشة المحدث: الألباني – المصدر: صحيح الجامع – الصفحة أو الرقم: 469 .. تضوّر أي تقلب وهذا الحديث رواه ابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع من السلسلة الصحيحة.

××كان النبي إذا تقلب أو تضوّر سواء كان من ألم أو غيره يقول : لا إله إلا الله الواحد القهار ، رب السموات و الأرض و ما بينهما العزيز الغفار.فيبدأ بصفة الجلال ثم يسمي بصفة الجمال العزيز الغفار..

××ولم يرد –فيما أدري– اسم الله تعالى القاهر في السنة وإنما وردت إشارات إلى هذا الاسم كما في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه الألباني من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه أن رسول الله قال في شأن يأجوج ومأجوج يقولون «...قهرنا من في الأرض وعلونا من في السماء قسوة وعلوا...» إشارة إلى أن لهم القهر فيشير النبي أن الله سبحانه وتعالى يقهرهم بعد ذلك.

مساجد الإسلام .. في كل مكان

مسجد قول شريف بروسيا

مسجد قول شريف «باللغة التترية: القبائية تترية سيريليةجدية تترية عربية: مسجد قل شريف» كان يعتقد أثناء بنائه أنه أكبر مسجد في تتارستان وروسيا وأوروبا «بدون تركيا». بني هذا المسجد في القرن السادس عشر. سمي نسبة لقول شريف الذي توفي هو وطلابه أثناء الدفاع عن قازان ضد القوات الروسية في 1552. دمر المسجد خلال اقتحام قازان من قبل إيفان الرهيب عام 1552 وأعيد بناؤه عام 1996 وتم افتتاحه في 24 يوليو 2005. وقد ساهمت عدة بلدان في الصندوق الذي أنشئ لبناء مسجد قول شريف، ومنها المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة.